سازمان کتابخانه ها، موزه ها و مرکز اسناد آستان قدس رضوی
اداره مخطوطات
نام کتاب رسالة فی التوبة
مؤلف متن .... محشی
شارح .... مترجم
تاریخ تحریر .... نوع خط نستعلیق تحریری تعداد سطر ۱۵
نام کاتب
موضوع اخبار زبان عربی عدد اوراق ۹
طول ۲۱ عرض ۱۵ شماره عمومی ۳۳۸۶۸
وقفی حاج احمد آقا فاضل تاریخ وقف ۱۳۶۵
ملاحظات

او سمعته يتهجد بالقرآن في نومه كما كان يتهجد به في حيوته فقلت يا ابه ماذا فعل بك ربك
فقال يا بنيّ قدمت على رب كريم رضي عنّي ورضيت عنه واكرمني وحباني فاعطى
ولا تنزعي انتهى الاستغفار الى سكينة وغشوتها الابيات. ستبقى اما شهر ثم
عن كشي الى ان قال ثم تعاونا على غسله حتى فرغنا منه ثم قدمنا مالكا الاشتر فصلى بنا عليه
ثم دفناه الحديث في البحار عن مالك الى ان قال فخرج الى الربذة واقام مدة ثم اتى المدينة
ودخل على عثمان والناس عنده سماطين فقال يا امير المؤمنين انك اخرجتني
ارضي الى ارض ليس بها زرع ولا ضرع الا شويهات وليس لي خادم الا محررة ولا ظل
يظلني الا ظل شجرة فاعطني خادما وغنيمات اعيش فيها فحول وجهه عنه فتحول الى السماط
الآخر فقال مثل ذلك الى ان قال فجاء علي ع فقال له عثمان الا تغني عنا سفيهك
هذا فقال اي سفيه قال ابو ذر قال علي ليس بسفيه سمعت رسول الله يقول
ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر انزله بمنزلة مؤمن آل فرعون
ان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم الخبر بيان
قوله يغني لها النقاب قال في ق النقب قرحة تخرج في الجنب وفي بعض النسخ
بالزاء المعجمة قال في ق النقاز كغراب داء للابل شبيه بالطاعون قوله
خنقني هو طلب الموت انتهى

ومن اهل مرتبة ابي ذر حجر بن عدي الذي قتله معاوية وهو من اعلام الشيعة وعظمائها

التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

...

المؤمنين ...
ذنوبهم ...
الله وكل حالة حسنة من احواله فهو منزل من المنازل اذا قطعه ...
من الله بمقداره واول تلك المنازل ومبدئها هو التوبة وبيانها
يتوقف على امور الاول وجوبها الثاني حقيقتها
الثالث افرادها الرابع شرائط الاستيلاء فيها الخامس
زمانها الاول وجوبها اعلم ان الانسان كامل على الاطلاق لا يجوز
ان يتطرق اليه النقص بوجه من الوجوه فيجب ان يكون عظيما عظمة كاملة غير متناهية

وجوب التوبة

اذ سمعته يتهجد بالقرآن في نوبته كما كان يتهجد به في حياته فقلت يا ابه ماذا فعل بك ربك
فقال يا بنيّ قدمت على رب كريم رضي عني ورضيت عنه واكرمني وحباني فاعطى
ولا تغترّي انتهى
الانتقال الى سكينة وغشوتها الايابات ستجي اما شهر ثم
عن كشي الى ان قال ثم تعاونا على غسله حتى فرغنا منه ثم قدمنا مالكا الاشتر فصلى بنا عليه
ثم دفناه الحديث في البحار عن ما الى ان قال فخرج الى الربذة واقام مدة ثم اتى المدينة
ودخل على عثمان والناس عنده سماطين فقال يا امير المؤمنين انك اخرجتني من
ارضي الى ارض ليس بها زرع ولا ضرع الا شويهات وليس لي خادم الا محررة ولا ظل
يظلني الا ظل شجرة فاعطني خادما وغنيمات اعيش فيها فحول وجهه عنه فتحول الى السماط
الاخر فقال مثل ذلك الى ان قال فجاء علي ع فقال له عثمان الا تغني عنا سفيهك
هذا فقال اي سفيه قال ابوذر قال علي ليس بسفيه سمعت رسول الله يقول
ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر انزله بمنزلة مؤمن آل فرعون
ان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم الخبر بيان
قوله يعني بها النقاب قال في ق النقب قرحة تخرج في الجنب وفي بعض النسخ
بالزاء المعجمة قال في ق النقاز كغراب داء للماشية شبيه بالطاعون قوله
خنقني هو طلب للموت انتهى

ومن الحاضرين موت ابي ذر حجر بن عدي الذي قتله معوية وهو من اعلام الشيعة وعظمائها

تم ... يا ارحم الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين بديع السموات والارض رفيع الدرجات
الرحمن الرحيم بعباده المؤمنين المذنبين فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات مالك يوم الدين فاليه الاياب وعليه الحساب وبيده
النجاة اياك نعبد واياك نستعين انك انت المدعو للمهمات
والمفزع في الملمات اهدنا الصراط المستقيم كل اوان وحين هداية توصلنا
الى اقرب القربات واشرف الطاعات صراط الذين انعمت عليهم محمد وعترته
الطاهرين الذين بهم سكنت المتحركات ودحيت المدحوات وبهم
رست الراسيات واستقر العرش على السموات غير المغضوب عليهم ولا
الضالين من اعدائهم الكفرة الفجرة اللئام الطغات اللهم العنهم ما دام
اللعن عليهم من افضل العبادات اما بعد فقد قال الله سبحانه
في محكم كتابه في سورة النور وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
لعلكم تفلحون لا ريب في ان الله سبحانه ارحم الراحمين ولهذا تموجت
بحار رحمته الكاملة فاقبل على عباده المذنبين وتوجه اليهم فدعاهم
الى نفسه فقال الى اين تذهبون معاشر العصاة فانه لا مهرب لكم و
لا ملجئ الا باب مولاكم وربكم فانصرفوا وارجعوا اليه ثم قال تعالى جميعا
اي ليس هذا الامر مختصا بمن ارتكب الصغائر فقط بل هو شامل لهم ولمن
ارتكب الكبائر ثم لم يقل ايها المذنبون كما هو ظ سوق الاية بل قال ايها
المؤمنون بمحمد وآله تهييجا وتشويقا ثم قال لعلكم تفلحون وعدا لهم بقبول
توبتهم وبالجملة يجب على الانسان ان لا يزال دائما كانه قد فر الى
الله وكل حالة حسنة من احواله فهو منزل من المنازل اذا قطعه قرب
من الله بمقداره واول تلك المنازل ومبدئها هو التوبة وبيانها
يتوقف على امور الاول وجوبها الثاني حقيقتها
الثالث اقسامها الرابع خدع الشيطان فيها الخامس
زمانها الاول وجوبها اعلم ان الله سبحانه كامل على الاطلاق لا يجوز
ان يتطرق اليه النقص بوجه من الوجوه فيجب ان يكون عظيما عظمة كاملة غير متناهية

ان يكون ح

وجوب التوبة

روى الصدوق ره في كتاب التوحيد والخصال باسناده عن جابر بن
يزيد الجعفي قال سألت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلم عن قول الله
أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد فقال يا جابر تأويل
ذلك ان الله عز وجل اذا افنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن اهل الجنة
الجنة واهل النار النار جدد الله عالما غير هذا العالم وجدد خلقا غير
فحولة ولا اناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم ارضا غير هذه
الارض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى ان الله انما خلق
هذا العالم الواحد وترى ان الله لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد
خلق الله الف الف عالم والف الف آدم وانت في آخر تلك العوالم
واولئك الآدميين وفي التوحيد سئل امير المؤمنين عليه السلم
عن قدرة الله جلت عظمته فقام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان
لله تبارك وتعالى ملائكة لو ان ملكا منهم هبط الى الارض ما وسعته لعظم
خلقه وكثرة اجنحته ومنهم من لو كلفت الجن والانس ان يصفوه ما
وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته وكيف يوصف
من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبه وشحمة اذنه ومنهم من يسد الافق
بجناح من اجنحته دون عظم بدنه ومنهم من السموات الى حجزته ومنهم من قدمه
على غير قرار في جو الهواء الاسفل والارضون الى ركبتيه ومنهم من لو القي في نقرة
ابهامه جميع المياه لوسعتها ومنهم من لو القيت السفن في دموع عينيه
لجرت دهر الداهرين فتبارك الله احسن الخالقين وفيه باسناده
عن النبي قال ان لله ملكا من الملائكة نصف جسده الاعلى نار ونصفه
الاسفل ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو قائم ينادي
بصوت رفيع سبحان الذي كف حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج وكف
برد هذا الثلج فلا يطفي حر النار اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار الف بين
قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك انتهى ثم ان الاستاذ
في ان العصيان قد يتصف بالعظمة والكبر وقد تكون عظمته باعتباره في
نفسه

عظمة العصيان في نفسه

في نفسه فهو عظيم لكونه من الكبائر وقد اختلفت كلمات الاصحاب في تحقيقها قال البهائي ره
في اربعينه بعد ذكر جملة من الاقوال ما هذه عبارته فهذه عشرة اقوال في ماهية الكبيرة وليس على شيء
منها دليل يطمئن به النفس ولعل في اخفائها مصلحة لا تهتدي اليها عقولنا كما في ليلة القدر و
الصلوة الوسطى وغير ذلك انتهى وقد تكون عظمة العصيان باعتبار الاصرار
بمعنى انه في نفسه صغير ولكن لما اصر الانسان وداوم عليها صار عظيما كبيرا كما في الكافي عن
الصادق عليه السلم انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وعنه ع
انه قال لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شيء من معاصيه انتهى ويقول
علي عليه السلم قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه انتهى فاذا كان النافع هو العمل الدائم
وان كان قليلا والكثير المتصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فلذلك
القليل من السيئات اذا داوم الانسان عليه فتأثيره في اظلام القلب وتخبيثه اعظم
ومثل ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر متوالية الايام فتؤثر فيه وذلك القدر من
الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر وقد تكون عظمته باعتبار عظمة العاصي
بمعنى ان العاصي كلما كان اعظم شأنا وارفع مكانا واقرب من الله فصدور العصيان عنه
اعظم واقبح واشنع ولذا يقول الصادق ع كما في الكافي يغفر للجاهل سبعون
ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد انتهى ويقول علي عليه السلم كما في نهج البلاغة

عظمة العصيان باعتبار الاصرار

عظمة العصيان باعتبار العاصي

ولهذا كان الانبياء والاولياء يبكون في ترك الاولويات اشد و يستغفرون فان آدم
بكى حتى صار بكل خديه مثل الاودية وفي البحار عن الصادق عليه السلام قال ما بكى احد بكاء ثلثة
آدم وداود ويوسف فبلغت ما بلغ بكاؤهم فقلت اما آدم فبكى حين اخرج عن الجنة وكان
راسه في باب من ابواب السماء فبكى حتى تاذى به اهل السماء فشكوا ذلك الى الله فحط من
قامته واما داود فانه بكى حتى هاج العشب من دموعه وان كان ليزفر الزفرة فيحرق
ما نبت من دموعه الحديث وقد تكون عظمته باعتبار عظمة من يعصى وهذا
مالا ريب فيه فان عصيان كبير المحلة عظيم ولكن عصيان شحنة البلد المعبر عنه بالفارسية بداروغه
اعظم منه وهذا عصيان والي البلد اعظم منه وعصيان الوزير اعظم منه واما عصيان السلطان فلا اعظم
منه لانه لا اعظم منه فعلى هذا عصيان الله سبحانه وان كان جزئيا صغيرا حقيرا لكنه عظيم
اعظم من السموات والارض والجبال والبحار وغيرها لانه عصيان عظيم عظمة غير متناهية
وهو ملك الملوك جبار السموات والارضين ولذا يقول المعصوم لا تنظر الى ما فعلت
وانظر الى من عصيت ولذا ذهب جمع من فقهائنا كالمفيد وابن البراج وابي
الصلاح وابن ادريس والطبرسي صاحب مجمع البيان الى ان الذنوب كلها كبائر لاشتراكها

عظمة العصيان باعتبار عظمة من يعصى

١٤٩

في مخالفة الامر والنهي وليس فيها اي في الذنوب صغيرة ولكن قد يطلق الصغير
والكبير على الذنب بالاضافة الى ما فوقه وما تحته فالقبلة صغيرة بالنسبة الى الزنا وكبيرة
بالنسبة الى النظر بشهوة وهكذا فعلى هذا لو عذب الله الانسان على معصية عصيان
جزئيات لكان عدلا ولو ان الانسان بكى على عصيان الجزئيات انه لما
ما وجب على الله سبحانه ان يعفو عنه ويغفر له يقول سيد الساجدين ع في الصحيفة الكاملة
الهي لو بكيت اليك حتى تسقط اشفار عيني وانتحبت اليك حتى ينقطع صوتي
وقمت لك حتى تتنشر قدماي وركعت لك حتى ينخلع صلبي وسجدت لك حتى
تتفقأ حدقتاي واكلت تراب الارض طول عمري وشربت ماء الرماد آخر دهري
وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ثم لم ارفع طرفي الى آفاق السماء
استحياء منك ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي وان كنت تغفر
لي حين استوجب مغفرتك وتعفو عني حين استحق عفوك فان ذلك غير واجب
لي باستحقاق ولا انا اهل له باستيجاب اذ كان جزائي منك في اول ما عصيتك
النار فان تعذبني فانت غير ظالم لي الدعاء اذا علمت هذا فنقول ان الله ارحم
الراحمين اكرم الاكرمين اجود الاجودين غفار الذنوب ستار العيوب ولهذا فتح
للعباد باب التوبة ليعلم ان الانسان بعد ان يعصي الله سبحانه [illegible]

فيتوب قبل موته بنصف ساعة مثلاً فيقبل الله توبته ومعنى القبول انه يرفع عنه جميع اي يندم ويتأسف ح
تلك العقوبات الغير المتناهية التي كان مستحقاً مستوجباً لها فسبحانه من كريم ما ارحمه كون التوبة من نعم الله
وجواد ما اجوده فظهر بما قلنا ان التوبة من نعم الله العظيمة وحسناته الكلية وانعاماته
الجليلة اذ لولاها لكان الكل من الخائبين والخاسرين بل من الهالكين و التي لا يقدر الانسان على شكرها ابد الآبدين ح
في النار من المخلدين اذ لا شك في ان ذنوبنا غير متناهية ومعاصينا غير لا تعد ولا تحصى
يقول سيدنا جدي في الصحيفة الكاملة بل انا يا الهي اكثر ذنوباً واقبح آثاراً واشنع
افعالاً واشد في الباطل تهوراً واضعف عند طاعتك تيقظاً واقل لوعيدك
انتباهاً وارتقاباً من ان احصي لك عيوبي او اقدر على ذكر ذنوبي الدعاء
واذا عرفت ما قلنا فقد عرفت ان من الاشياء المهمة الواجبة على الانسان هو التوبة
لانها دافعة للضرر الذي هو العقاب او الخوف منه ودفع الضرر واجب فما يدفع به وجوب التوبة
الضرر ايضاً يكون واجباً ولانا نعلم قطعاً وجوب الندم على فعل القبيح او الاخلال
بالواجب وللكتاب فقد امر الله بها وحث عليها في آيات متعددة حتى قال
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وللاخبار الكثيرة وللاجماع عليها في الجملة
كما ادعاه جماعة الثاني في حقيقتها اعلم ان التوبة اذا نسبت الى الله في بيان حقيقة التوبة
فهي بمعنى الاشفاق والتعطف ولذا تتعدى بعلى واذا نسبت الى العبد فهي بمعنى الرجوع والانابة

والانابة ولهذا تتعدى بالى فيقال تاب العبد الى مولاه اي رجع اليه فالله يتعطف على
عبده اولاً بالهام التوبة ثم يتعطف عليه ثانياً بقبوله اياها منه فههنا توبتان وللعبد
واحدة بينهما وبيانها ان الله جعل في الانسان شيئين عقلاً ونفساً امارة بالسوء
اما الاول فيدعوه الى الله واما الثاني فيدعوه الى الشيطان فهما متضادان غاية التضاد
متنافيان كمال التنافي لا يمكن للانسان الا الاطاعة لاحدهما فان اطاع العقل واستمع
واستمع الى كلامها ح كلامه فهو معرض مدبر عن الشيطان متوجه مقبل الى الله وان اطاع نفسه الامارة
فهو معرض مدبر عن الله متوجه مقبل الى الشيطان فالعاصي ما دام عاصياً عبد قد ترك
مولاه وهرب منه فاذا ترك العصيان واخذ بخلافه فقد رجع الى مولاه وبالجملة
الرجوع الى الله والانابة اليه معنى ينتظم ويتركب من ثلثة امور مترتبة الاول العلم والثاني
الحال والثالث العمل اما العلم فهو ان يعرف ان الذنوب مفسدة مضرة اضراراً
عظيماً وانه حجاب بينه وبين محبوبه وان يصدق بانها سموم مهلكة فاذا عرف
هذا مع يقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة حالة البتة وهي الندامة اعني حالة
التألم والتأسف والحزن فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم لا
فاذا غلبت هذه الحالة واستولت عليه وانبعث فيه رغبة الى اعمال ثلثة عمل متعلق
بالحال وهو الترك للذنب الذي كان ملابساً له مشتغلاً به وعمل متعلق بالماضي

مراتب التوبة واقسامها

وهو التلافي والتدارك لما فات بالقضاء ان كان قابلا له وعمل متعلق بالمستقبل وهو العزم

على عدم العود اليه ابدا الى آخر العمر فالتوبة معجون مركب من مجموع امور هي العلم والندم و

والترك بالكلية في الحال والعزم عليه في المستقبل والتلافي للماضي وكثيرا ما يطلق اسم

التوبة على معنى الندم وحده كما عن ابي جعفر عليه السلم انه قال كفى بالندم توبة ح وذلك

باعتبار جعل العلم كالمقدمة لها والترك كالثمرة وذلك لان الندم لا يخلو من علم اوجبه

واثمره ومن عزم يتبعه ويتلوه فيكون اي الندم محفوفا بطرفيه اعني مثمرته وثمره

الثالث اقسامها ومراتبها للتوبة ثلث مراتب واقسام لان الانسان له عقل ونفس

وجسم وهو في كل واحدة من هذه المراتب يمكن ان يكون مطيعا وعاصيا فعصيانه

في مقام العقل هو الاعتقاد الفاسد وتوبته في هذه المقام ترك ذلك الاعتقاد والاخذ

بما هو الصحيح وعصيانه في مقام النفس هو الخلق القبيح الرذيل وتوبته في هذا المقام ترك

ذلك والتخلق بضده الحسن الحميد وعصيانه في مقام الجسم هو العمل الفاسد المخالف للشرع

وتوبته في هذا المقام تركه والاخذ بخلافه كما سيجي تفصيله ان شاء الله وجميع هذه الاقسام اذا كانت

صحيحة لشرائطها وآدابها متقبلة البتة لقوله سبحانه في سورة حمعسق وهو الذي يقبل التوبة

عن عباده ويعفو عن السيئات الآية اي عن جميع السيئات لانها جمع محلى باللام فيفيد العموم

بل وصف نفسه في آيات عديدة بالتواب لانه اما لكثرة ما يقبل التوبة واما لانه لا يرد

لايرد تائبا خائبا اصلا بل اوجب على نفسه قبولها كما قال في سورة الانعام كتب ربكم

على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم

وفي الكافي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم انه قال يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها

مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستانف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان

قلت فان عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم

اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت

فانه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار

والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات

فاياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله انتهى وبالجملة قبول التوبة بمعنى اسقاط

العقاب بها مما اجمع عليه اهل الاسلام نعم اختلفوا في امور منها ان قبول

التوبة هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة لكان ظلما او هو تفضل يفعله كرما منه

ورحمة بعباده فالمعتزلة على الاول والاشاعرة على الثاني والى الثاني ذهب الطوسي

في كتابه الاقتصاد والعلامة المجلسي في بعض كتبه الكلامية والطبرسي في تفسيره واستظهره المجلسي

في البحار والبهائي في اربعينه وتوقف المحقق الطوسي في التجريد ومنها ان المرتد الفطري

لو تاب بينه وبين الله فهل هي مقبولة في الباطن ام لا ومنها التوبة المبعضة والموقتة

اي اوجب الله بالوعد

في امور اخر من الخلاف

ولكن ينبغي ان يكون الانسان بعد التوبة خائفا راجيا لاحتمال ان يكون في شرائطها و آدابها مقصرا ح

فيها

وبالجملة فقد اختلفوا في ذلك العلماء رحمهم الله والاصح صحة المتبعضة والا لما صحت عن الكفر مع الاصرار على صغيرة وأما الموقتة كان يتوب عن الذنوب سنة فاشتراط العزم على عدم العود الى الابد يقتضي بطلانه وأما المجملة كان يتوب عن الذنوب على الاجمال مع جهل تفصيلها وهو ذاكر للتفصيل فقد توقف فيها المحقق الطوسي والقول بصحتها غير بعيد اذ لا دليل على اشتراط التفصيل انتهى كلامه رفع مقامه الرابع خدع الشيطان فيها الاولى ان يقول للانسان ان ذنوبك عظيمة كثيرة خارجة عن المقدار ولست قابلا للهداية وان تبت منها فلا تقبل منك ولم يزل يوسوس ويعظمها ويكثرها له حتى يوصله الى حد اليأس من رحمة الله فلاجل هذا لا يتوب وهذا خطأ ظاهر لانه يقول ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويقول ايضا ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فالواجب عليه التوبة وعدم اليأس وان كانت ذنوبه غير متناهية الخدعة الثانية يمكن هو بان يقول له ان ذنوبك جزئية حقيرة قليلة غير منتشرة الى التوبة فلم يزل يحقرها في نظره ويقللها الى ان يغفل عنها ويغمض ولا يعتني فلاجل هذا لا يتوب وهذا ايضا خطأ ظاهر لوجهين الاول ان الذنب وان كان جزئيا صغيرا ولكن يقول الكاظم عليه السلام لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كبيرا الحديث كالمرض الجزئي اذا لم يعالج في اول الامر فربما يجتمع الامراض حتى يصير

كليا يصعب معالجتها والثاني ان استغفاره للذنب واستحقاره اياه يجعله كبيرا عظيما لان هذا كاشف عن استصغاره له واستحقاره اياه اذ لو استعظمه لا استعظم عصيانه روي في الكافي عن الصادق انه قال قال رسول الله اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قلت وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك انتهى فالواجب على الانسان ان يتوب عن كل ذنب ولو كان في غاية الحقارة والقلة الخدعة الثالثة انه لم يزل يوسوس في الانسان ويزين في عينه العصيان حتى يلتبس عليه الامر فلا يرى المعصية عصيانا بل ربما يراه طاعة وحسنة فيفتخر بها ويبتهج ويتبجح ويباهي بها في المجالس فاذا وصل الى هذا المقام فلا يتوب لانه لا يراه عصيانا حتى يتوب الخدعة الرابعة انه يقول للانسان ارتكب هذا الذنب وادرك لذته ثم تب الى الله فيما بعد فان باب التوبة مفتوح فيرتكبه وهذا وهم فاسد وخيال باطل لان ترك الذنب ابتداء اسهل من التوبة فيما بعد مثلا الصيد قبل ان يرميه الصياد بسهم ويجرحه فنجاته وخلاصه من يده سهل لا صعوبة فيه واما بعد الرمي والجرح فلا شك في ان النجاة منه صعب واشد فكذلك الانسان قبل ارتكاب الذنب لا تتسلط ابليس عليه ولا استيلاء الا انه يدعوه اليه فان اراد تركه لقدر عليه بسهولة واما اذا ارتكبه فيتعذر ذلك الذنب بعد عن ابليس ويقرب من ابليس ويتسلط ويستولي عليه فان اراد ان ينجو منه ويرجع الى الله فلا ريب في انه اصعب وابعد من اول الامر لهذا يقول علي عليه السلام

الخدعة الاولى

الخدعة الثانية

الخدعة الثالثة

الخدعة الرابعة

فينبغي للانسان ان يكون على بصيرة حتى لا يشتبه عليه الامر

في زمان التوبة وانه موسع

كما في اوائل نهج البلاغة ترك الذنب اهون من طلب التوبة ۞ كما ان حفظ الصحة ايسر من
علاج العلة فترك الطعام المضر اسهل من المعالجة بعد المرض الخامس في زمانها
وهو موسع من بعد صدور المعصية الى زمان معاينة امر الآخرة وروى الصدوق رحمه الله في
الفقيه انه قال رسول الله في آخر خطبة خطبها من مات قبل موته بسنة تاب الله عليه
ثم قال وان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وان الشهر
لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال وان يوماً لكثير من تاب قبل موته
بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب وقد بلغت نفسه هذه
واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه انتهى ولكن لا ريب في وجوب المبادرة

وجوب المبادرة

والاسراع اليها وايقاعها فوراً لان الذنوب سموم معنوية حقيقية مهلكة
فكما ان الخائف من الهلاك الظاهري اعني الموت يجب عليه ترك السموم وما يضره
وان تناولها وجب عليه المبادرة الى المعالجة والتقيؤ واخراجها عن بدنه فكذلك
الخائف من الهلاك الابدي يجب عليه الاجتناب عن الذنوب وتركها وان ارتكبها
وجب عليه المعالجة بالتوبة فوراً بل الفورية ههنا بطريق اولى بلا ريب لان الفائت
بالسموم الظاهرية انما هو الحياة الفانية الدنيوية واما الفائت بالسموم المعنوية في
الذنوب فالحياة الدائمة الاخروية اعني الملك العظيم والنعيم المقيم وهذا المقام مقام
خطير

ذم التسويف

خطير قد هلك فيه جم غفير فان تسويف التوبة وتعويقها وتاخيرها من يوم الى يوم ومن
شهر الى شهر ومن سنة الى سنة داء مهلك ومرض صعب لان المسوف من اين
علم انه يبقى فيما بعد حتى يتوب فلعله يعاجله الموت بغتة فلا ينتبه من غفلته الا وقد
حضره الموت وفات وقت التدارك وانسدت ابواب التلافي وجاء الوقت
الذي قال الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون وصار يطلب المهلة يوماً او ساعة
كما قال سبحانه من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية ان المحتضر يقول عند كشف الغطاء يا ملك
الموت اخرني يوماً اعتذر فيه الى ربي واتوب اليه واتزود صالحاً فيقول هيهات
فنيت الايام فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فيغلق عنه باب التوبة و
يتجرع غصة اليأس وحسرة الندامة على تضييع العمر وثانياً اذا كان لا يقدر على
التوبة الآن فلعله لا يقدر عليها فيما بعد ايضاً لانه انما عجز عنها الآن لغلبة الشهوة
وهي ليست تفارقه غداً فهو يظن الفرق بين المتماثلين ولا يعلم ان الايام
في ان ترك الشهوات فيها ابداً اشق بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد و
ليست الشهوة المؤكدة بالعادة كغير المؤكدة فمثله كمثل من احتاج الى قلع شجرة
فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها الى سنة ثم اعود اليها وهو
لا يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا

لا يبعد ان تتراكم ظلمة المعاصي على قلبه يوما فيوما الى ان يصير رينا وطبعا فلا يقبل
المحو فان كل معصية يفعلها الانسان يحصل منها ظلمة في قلبه كما يحصل من نفس الانسان ظلمة على المرآة
في المرآة فاذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت رينا كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرآة
صدأ واذا تراكم الرين صار طبعا فينطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم
بعضه فوق بعض وطال مكثه وغاص في جرمها وافسدها فصارت لا تقبل الصقالة
ابدا روي في الكافي عن الباقر انه قال ما من عبد الا وفي قلبه نكتة
بيضاء فاذا اذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد
وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا تغطى البياض
لم يرجع صاحبه الى خير ابدا وذلك قول الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون انتهى
فهذا ما يترتب على التسويف فهو من اقوى حبائل الشيطان ومكائده روي في المجالس
عن الصادق عليه السلم قال لما نزلت هذه الآية اعني قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
الآية صعد ابليس جبلا فصرخ باعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا اليه فقالوا يا سيدنا
لم دعوتنا فقال نزلت هذه الآية فمن لها فقام عفريت من الشياطين فقال انا
لها بكذا وكذا قال لست لها فقام آخر فقال مثل ذلك فقال لست لها فقال
الوسواس الخناس انا لها قال بماذا قال اعدهم وامنيهم حتى يواقعوا الخطيئة

١٥٤

فائدة في عدم قبول التوبة حين الموت

الخطيئة ثم اذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الاستغفار فقال انت لها فوكله بها الى يوم القيمة
انتهى هذا ما يتعلق به قبل الموت واما اذا حضر الموت وتيقن الفوت
وعاين امر الآخرة فقد انعقد الاجماع على عدم صحتها وانها لا تقبل وقد دلت على هذا
الآيات والاخبار قال تعالى في سورة النساء وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن الآية وغيرها من الآيات وهذا
حكم اتفق فيه السلف والخلف ولهذا لم تقبل توبة فرعون فانه لما ادركه الغرق
وتيقن بالهلاك قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين
فاخذ جبرئيل حماة فوضعها في فيه وقال له الآن آمنت حين لا ينفع وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين والسر فيه ان التائب عند الموت اما
كافر او مؤمن فان كان كافرا فعدم توبته ايام الدنيا دليل على رسوخ الكفر فيه و
انه من اهل الجحود والانكار فان تاب ح التوب لا انه فتوبته غير مقبولة لانه
كاذب في هذا كما اخبر سبحانه عنهم حيث قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون وان كان مؤمنا فعدم توبته في الحيوة الدنيا كاشف عن رسوخ
المعاصي فيه فان تاب ح فهي غير مقبولة بمعنى انه لا يكفي في ازالة المعاصي ومحوه
مجرد الندم القلبي والتأسف بل لا بد من اشياء اخر مثلا الذنوب الوسخ يمكن ازالة وسخه

في ابتداء الامر بمجرد الغسل واما بعد الرسوخ والنفوذ فيه فلابد من الماء الحار والصابون
والدلك التام ونحوه فكذلك المؤمن الذي لم يتبع دنياه حتى ادركه الموت لا يزول
معاصيه بمجرد الانتقال بعده بل اما بشدائد الموت وسكراته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الموت كفارة لذنوب المؤمنين فان زال فيها والا ففي اهوال البرزخ يقول
الصادق عليه السلم كانى بالنفيس لئن بين الدنيا والاخرة الف عقبة ايسرها كما اهونها
وايسرها الموت هو والا ففي اهوال يوم القيمة والا فلابد من دخول النار
ويبقى فيها لحظة او يوما او اسبوعا او شهرا او ازيد حتى يتطهر لان الله جميل يحب
الجمال فلا يقبل الا ما كان جميلا واما ما دام كثيف فلا يقبله مثلا الانسان يحب
ولده فان كان طاهرا نظيفا احبه لاجنبه وفي حجره وان كان كثيفا بنجاسة
غسله اولا ثم وضعه في حجره يقول الله في سورة عم لابثين فيها احقابا العياشي
عن الباقر عليه السلم انه سئل عن هذه الآية فقال هذه في الذين يخرجون من النار
وفي المعاني عن الصادق عم قال الاحقاب ثمانية احقاب والحقب ثمانون سنة
والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون انتهى
يقول علي عليه السلم واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا انفسكم فانكم قد
جربتموها في مصائب الدنيا فرايتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه

تحرقه الى ان يقول فالله الله يا معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق
فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم و
استعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا
بها عنها